رحلة القلوب في أسماء الله

خطبة الجمعة للدكتور محمود أبو الهدى الحسيني في جامع العادلية بحلب بتاريخ 2007/11/30م

لأسماء الله تبارك وتعالى دلالات تربوية، ولا ينبغي أن نتوقف ونحن نقرأ: **(من أحصاها دخل الجنة)** عند معنى عدِّها وسردها وحفظها... لا، فأسماء الله تبارك وتعالى موجّهة ومرشِدة ومقوِّمة ومحذِّرة ومُرغِّبة...

من عاش في رحاب أسماء الله يكون ثابت القدم في طريق الله، ويستقيم سلوكه، ويهتدي قلبه، ويفهم عقلُه، ويتوقد حركة، ويشتعل همّه...

ليست أسماء الله تبارك وتعالى لمجرد التوسل إليه بالدعاء فيها، إنما هي منهج حياة، لأنها تدير منهج حياة، وتوجه إلى منهج حياة.

وسوف أقتبس من إشراقات الأسماء شيئًا يسيرًا يستمده وعائي الصغير:

- فمن كان في الحيرة يهديه ويرشده اسمُه تعالى **"الحقّ"**، لأن الحقَّ حقيقةٌ مطلقة لا شكَّ فيها ولا ريب، فمن هداه الحقُّ لا يقع في الشك والريب، ومن تعلق بالحق يثبُت على الحق.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: 116]

ومن غفل عن اسمه تعالى "الحق" فلا بد ولا بد سيعلم أنه الحق، وربما يعلم بالآيات الباهرة التي يظهرها: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: 53]

وهناك صنف لا يهتدي إلى اسمه تعالى الحق حتى يكون يوم الحق، قال جلّ من قائل: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: 25]

- فإذا تعلَّق بالحقّ وجد أن الحقَّ **"حميدٌ مجيد"**، لأنه سبحانه يُحمَد بأوصافه وأسمائه، ويُحمد بأفعاله، ويُحمد بما يعرفنا من جوده ونعمه وكرمه وفضله وآلائه ونعمائه... وهكذا عرَّفنا إلى اسمه "الحميد" لتتعلق قلوبنا به فقال سبحانه:

﴿وَهُوَ الَّذِي يُنزلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى: 28].

ومن كان حميدًا يستحقُّ أن يمجّد، وقد عرّفنا على هذا اسمُه **"المجيد"**، لأن من يستحق أن يُحمد حقيقةً لا نفاقًا وكذبًا يستحقُّ أن يمجَّد، وأن يُقدَّس، وأن يعظّم... قال سبحانه: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ فذو العرش هو الله سبحانه، والمجيد اسمٌ له، ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: 15-16].

– فإذا أراد أن يتعرف إلى فعله وهو الحميد المجيد رأى أن مولاه هو "ذو الفضل"، وقد عرّفنا على وصفه هذا واسمه في آيات منها: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ [غافر: 16].

– فإذا سألت عنه: أهو بعيدٌ فتناديَه، أم قريبٌ فتناجيَه؟ يجيبك سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: 186] فاسمه "القريب": ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: 61]، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: 16]، فهو ذو الفضل الذي هو أقرب إليك من حبل الوريد، وأقرب إليك من نفسك، ومن حسّك، ومن أنفاسك...

– ومن هنا ترفع حاجتك إليه، وتسند حاجتك إليه، ومن أُسنِدَت إليه الحاجات فهو "الصمد"، وهو القائل: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: 2].

– فإذا رفعتَ الحاجات وهجمت عليك العادات تقول لك: الأسباب ضعيفة، وذلك حتى تتَّكل على الأسباب، وتقعَ في وهم الاتّكال عليها، فأنت محتاج، والأسباب مفقودة، فمن أين تأتي حاجتُك مع فقدان أسبابها، لاسيما حينما تكون آخذًا بالسبب، وقد وقفت في ساحة العجز منقطعًا؟ فيجيبك اسمٌ من أسمائه هو: "الرزاق ذو القوة المتين"، وذو القوة مع الرزاق مع المتين ينفي تحكم العادة والأسباب عن القلوب، وينفي عَجَبك حين ترفع حاجتك إلى الصمد: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: 2–3] أي ليكون ذلك الرزق مخالفًا للعادة والتنبؤ والتوهم، وليكون من حيث لا تعطيه قوانين عادتك التي اعتدت عليها: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: 58]، ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى: 19].

ولاحظوا كيف أنه سبحانه يقارن دائمًا في آياته القرآنية بين القوة والرزق الذي هو إمداد العباد، فقد أنعم الله تبارك وتعالى على خلقه بالإيجاد ثم أنعم عليهم بالإمداد، أما الإيجاد فهو الخلق، وأما الإمداد فهو الرَّزق، فإذا توهمت أن الإمداد لا يرد إليك لفقدان الأسباب ولضعف قانونها في قلبك بحسب ما يراه قلبك يأتيك قوله: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ حتى ترفع حاجتك إلى الصمد واثقًا بقوته ورزقه، وواثقًا بلطفه، وواثقًا بعزته التي لا تضام..

- وقال سبحانه: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾ [النساء: 85] أي هو الذي يعطي كل شيء إمداده وقُوتَه.

- وحتى يتسع في قلبك اليقين ويعظم، وحتى تعلم حين ترفعُ حاجتَك إلى الصمد من هو الذي ترفع حاجتك إليه، يأتيك اسمه "الكريم"، والكريم يعطي بلا مقابل، ويعطي فوق ما تتوقعه، والكريم لا تتجاوز كرمَه الآمال، فمهما كانت آمالك كبيرة فكرمُه أكبر، وهو القائل: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: 6] فهو الذي يتكرم ويهبك ويمنحك ويعطيك ويكرمك فوق ما تتأمله الآمال، ثم أنت بعد ذلك تغتر! وأنت بعد ذلك تكون المسيء في حضرة الكريم!

- فإذا علمت وتعلق قلبك به أنه الحق، وأنه الحميد المحمود، وأنه المجيد الممجد، وأنه ذو الفضل المتفضل، وأنه القريب الأقرب من حبل الوريد، وأنه الصمد الذي ترفع إليه حاجاتك، وأنه الرزاق ذو القوة المتين، وأنه الكريم.. وجدت نفسك مضطرًّا أن تقف بين يديه عبدًا، لتجده أمامك ربًّا، "الربّ" المستحق أن يعبد، ومن كان هذا وصفه، فكيف لا يكون المستحقَّ الأوحد أن يعبَد؟!

- وعندها يطالبك الاسم "الرب" أن تكون عبدًا، فإذا تعلقت بالرب عبدته: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ [البقرة: 21] فلمّا عبدته أردتَ أن تستند إلى ركنٍ شديد، وأردت أن تعتمد على من يوثق به، وعلى من لا يطرأ الفناء عليه، فناداك الاسم "الحيّ"، وقال لك الحي: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: 58] لأنك طالما تستند إلى من يموت ستبقى مخذولاً، وستبقى في اليأس والإحباط، فإذا أردت أن تستند إلى ركن شديد فتوكل على الذي لا يموت، كفاك استنادًا إلى الذي لا يموت وتوكل على الحي الذي لا يموت.

- فلما تعرَّف قلبُك إليه ووثق به واستقر فيه الإيمان، تلفتَّ يمينًا وشمالاً وأنت تقول: ماذا أصنع؟ ماذا أفعل؟ فيجيبك اسمه "الحكيم"، والحكيم هو الذي نظّم كونَه بحكمته وأمر عباده بشريعته، فهدى عباده بحكمته إلى شريعته بعد أن أشهدهم حكمته في كونه.

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ وكلفهم بعد ذلك بشريعته التي هي حكمته التي أمر بها: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ، وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: 7-9].

فسيّر المقادير في كونه بحكمته، عَرَفنا منها ما عرفناه وجهلنا منها ما جهلناه، لكنه نظَّم لنا من خلال أمره الشرعيِّ حياتَنا، وهدانا إلى منهج الصراط المستقيم، فكانت حكمته في كونه حُجَّةً علينا، وعلى فوضويتنا، وتمردنا، وعبثيتنا... أشهدنا حكمةً في كونه وأمرنا أن نلتزم باختيارنا منهج الحكمة.

ولما تعجَّب يعقوبُ عليه الصلاة والسلام من فعل الله تبارك وتعالى حينما أُخذ محبوبُه يوسفُ فألقي في الجبّ، ومِنْ مَنْعِ مولاه محبوبًا تقيًّا نقيًّا ذكيًّا... قال لأولاده: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: 83] فكان واثقًا بالحكيم في منعه كما يثق به في عطائه.

ولما اجتمع يعقوب بيوسف كان يوسف كالمرآة التي تعيد وتؤكد تلك الحقيقة، فقال وقد اجتمع الأب وأولاده: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف:100] فإذا أردتم أن تشهدوا حكمته فهذا نموذج، هكذا يقول يعقوبُ في المنع، ويجيب يوسفُ في العطاء.

فالحكمة في كونه، وهي منهج ديننا، وهي شريعتنا، التي هي إدارة حياتنا...

فما أُنــزل القرآن من أجل أن نتلوه على الموتى، ولا من أجل أن نقرأه فتخشع قلوبنا في الصومعة، ولا من أجل أن نكرره صباح مساء حتى نحفظه ويقف الأمر عند هذا الحد متوهمين أن من حفظه وكرره ووقف عند هذا الحدِّ فإنه يرتقي في الجنان كما يقرأ في الحديث..

لا، فالذي يأخذ القرآن فيتحول سلوكه إلى قرآن، وتتحول ذراته إلى قرآن، وتتحول أخلاقه إلى قرآن، وتتحول سيرته إلى قرآن... فهذا هو الذي يرتقي.

فالقرآن أنــزله بحكمته وقال: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: 1] فما فصَّل الحكيمُ لنا القرآن إلا ليكون منهج إدارة لحياتنا في كل مستوى وعلى كل الأصعدة.

مهما أراد الكذابون أن يتحدثوا عن فصل الدين عن الحياة فإن القرآن سيبقى يلاحقهم بهيمنته وبأنواره وأسراره، ليقول لهم: أنا الذي أدير الحياة.. أنا الأقدر على إدارة الحياة.. أنا الذي لا يمكن أن يُفصل بيني وبين الحياة على كل مستوياتها..

زماننا هذا زمانُ سلطنة الأهواء والمصالح والكذب والخداع والغشّ... لكن القرآن يدير الحياة بالعدالة والإنصاف والمحبة والرحمة والإكرام والإتقان والعلم...

هذه حقيقة. ومن عرف اسم "**الحكيم**" يعرف هذه الحقيقة.

قال جل من قائل: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ أي لا يتولون غير أهل الإيمان، فنحن ندعو أهل الكفر لكننا لا نتولى إلا أهل الإيمان، ولا نحارب إلا محاربًا، ولا نعتدي لكننا لا نضع المودة في قلبونا إلا لأهل الإيمان: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود: 113] فالمودة والمحبة والتولّي تكون لأهل الإيمان، هكذا يُوجهنا الحكيم في منهج الحكمة.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ **والساكت عن الحق شيطان أخرس.**

لك روح واحدة، فلتُخرج هذه الروح بشرف وكرامة..

كفى ذُلاًّ.. كفى خنوعًا.. كفى ضعفًا.. كفى خرسًا..

﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 71]

فالحكيم يخاطبك عند كل تكليف، ويهديك عند كل خطوة تريد أن تخطوها في سلوكك.

- ورحمته هي في عين حكمته، وإن كنا نستدل على رحمة الإسلام بوصف سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ فإننا نستدل أيضًا على رحمة الإسلام بآيات التشريع نفسها، التي تقول: إن رحمتَه في عين حكمته، وحكمتَه في عين رحمته.

واقرؤوا على سبيل المثال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي لا تجعلوا القتل ديدنًا ومنهجًا لكم وسلوكًا، ولا تُفشوا القتل بينكم، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: 29] في تشريعه.

واليوم أصبح القتل عادة، وأصبح يُستعمل باسم الإسلام، والإسلام منه بريء، كما حين تُفجّر المتفجرات في سوق، اللهم إنا نبرأ إليك من هذا.

- ومن كان حكيمًا، يدير الكون ويأمر الإنسان بالتزام منهج الحكمة، يكون "**له الحُكم**"، فهو الأحق بالحُكم، وهو الذي يستحق أن يكون له الحُكم، ولا ينبغي أن يكون الحُكم إلا للحكيم، لذلك قال: ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: 12].

- وهكذا كلما أردت أن تتحكَّم وأن يكون لك الحُكمُ على من هو أضعف منك - مهما كانت ولايتك صغيرة: في أسرتك، أو في سلطنتك أو في إقليمك أو في أمتك... - تتذكر "العَليّ".

واقرؤوا على سبيل المثال التوجيهَ التربويَّ الذي ينهى الله سبحانه وتعالى فيه الرجلَ عن العُنف مع المرأة، وهي أكبر مشكلة في العالم اليوم، واقرؤوا الإحصائيات، حيث كم امرأة تُقتل (وليس تُضرب) في الثانية، حتى أصبح الغربيون يخرجون في مظاهرات تتمرد فيها المرأة في ذلك المجتمع على ما يسمى بظاهرة العنف ضد المرأة، لكن ماذا يقول الذي له الحكم، الحكيمُ الذي لو أننا استشعرنا أنه الذي له الحكم وهو العليُّ الكبير لا نستطيع أن نتسلط على من هو أضعف؟

يقول تعالى: ﴿فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ﴾ أي على النساء، ﴿سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: 34]

ولو تذكر الملوك العليَّ الكبير فلن يقدروا على ظلم أحد، ولو تذكَّر أصحابُ المناصب العليَّ الكبير الذي له القدرة على كل شيء - وأنت شيء - فلن يقدروا على التسلط والظلم...

لكن لما أقفلت القلوب وغابت عن تذكر الحكيم الذي له الحكم، وغابت عن تذكر العلي الكبير، ظهر العنف والظلم والبغي والتسلط...

- فإذا وافَقْتَ حكمة الله وصرت منقادًا لأمره يتولاك، ويكون معك "الوليّ":

﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾ فكنت من أصحاب الانقياد للكتاب، ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: 196] وإذا تولّاك الله كفاك.

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: 257].

- فإذا كان الله وليَّك كان "وكيلَك".

وحين يكون لك قضية، تُرسل وكيلاً حقوقيًّا عنك في ميدان المحكمة يُدافع عنك، أتريد وكيلاً؟

إذا تولاك الله كُنتَ عبدًا، وإذا كنت عبدًا يكون لك وكيلاً.

المحامون قد يُخطئون وقد يضعفون، لكن حينما يكون وكيلك الله، ما بالك؟

وقال الله سبحانه لإبليس: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾ [الإسراء: 65].

وقال: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173]

- فإذا ذلَّت قَدَمُك، وغلبتك نفسك في لحظة، تجد "**الغفور**" و"**الودود**" و"**الرحيم**":

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 155]

وقال: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: 90]

وقال: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 117]

وقال: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الحجر: 49]

- لكن حينما تُصر على العداء، وتريد أن تكون محاربًا لله - فهو يُقابلك بعفوه وحلمه وكرمه وجودِه، وتُصِرُّ على حربه - عندها ينتظرك ذُلُّ **انتقام**: ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [المائدة: 95]

- على أنه باسمه "**الرحمن**" رغَّبك وخوَّفك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: 96]، وفي المقابل يقول سيدنا إبراهيم لأبيه: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم: 45].

قال أهل التربية والتحقيق: مثال الاسم الرحمن، كمن يَسقي دواء مُرًّا ويعالج به، لكنه شديد المرارة.

- وحتى يستصحب العبد في سلوكه اسمًا من أسماء الله تعالى فيستقيم يحتاج إلى "**الشهيد**"، لأن الذي يعيش مُتعلِّقًا بالشهيد، لا يَغفل ولا ينحرف: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: 6] فالشهيد لا يغفل عنك نَفَسًا، وهو حاضر يراك: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: 46]

– ولما كان الإنسان يطغى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى، أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق: 6–7] احتاج إلى الاسم **"القاهر"**، لأن الذي يستحضر الاسم "القاهر" لا يطغى أبدًا: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: 61].

– ويوم القيامة يتجلّى على الجبابرة باسمه **"القهّار"** ليعيشوا حال القهر، لأنهم هم أسباب القهر، فالناس في الدنيا كانوا يحصلون منهم على القهر، وهم كانوا سبب قهر العباد، ويوم القيامة يتجلى الله عليهم باسمه "القهار".

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: 48]

وقال: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ أيها الملوك؟ ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: 16]

– وإذا كنت من الدُعاة إلى الله وعِشت المِحنة، فإياك أن تغفُل عن **"الحسيب"** الذي سيحاسب من ظَلمك: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: 39] يحاسب من يظلمهم.

– وحتى يفتح للدعاة باب الأمل، يُخاطبهم باسمه **"خير الحاكمين"**: ﴿فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الأعراف: 87]

– وخير الحاكمين لا يصح إلا أن يكون **"عادلاً"**.

– فإذا عانى العبد من الضراء، حتى وصل إلى حالة الضعف الشديد، فإنه جعل له اسمًا يستغيث به ليرتاح في ضرائه، وهو **"أرحم الراحمين"**: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: 83] فإذا كنت في الضراء، كرِّر: يا أرحم الراحمين، تزول عنك الضراء.

– وحتى يفتح لعبده باب الطلب في المناجاة، كان **"السميع العليم"**: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 127] فإذا حضر قلبك مع "السميع العليم" تُجاب.

قال سبحانه: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [آل عمران: 35]

- وحتى يهب عبده مفتاح التأييد، دلَّه على اسم "المولى" و"النصير".

كرِّر عند ضعفك - وقد مررت برحلتك في عالم الأسماء، وقد مرَّ قلبك برحلته من الحقِّ إلى أرحم الراحمين - كرر ما علَّمك إياه: ﴿نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الأنفال: 40].

تلك هي رحلة القلوب في أسماء الله التي تُرشِد وتهدي وتُعين، والتي تفتح لك باب الأمل، والتي تُنقذك وأنت تغرق في لُجَج الإحباط.

رُدَّنا اللهم إلى دينك ردًّا جميلاً، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أقول هذا القول وأستغفر الله.